

التجربة الشعرية الجزائرية من التجلي الجمالي إلى النسق الثقافي .
شعراء النهضة أنموذجا .

The Algerian poetic experience, from aesthetic
Transfiguration to cultural coordination
(_Renaissance poets_ example)

د. عماري مالك^s

تاريخ الارسال: 2020-06-24 تاريخ القبول: 2020-07-12

المخلص : تحاول هذه الورقة البحثية الموجزة أن تفتح نافذة للبحث في التجربة الشعرية الجزائرية وإخراجها من عباءة النظرية الشكلانية والجمالية والسيميائية التي حصرت الممارسات النقدية في إطار الأدب، إلى وجه آخر بديل يتناول أنماط الثقافة المضمر والمخبوءة تحت مظلة كل ما هو جمالي، ودراسته في سياقاته السياسية والاجتماعية والتاريخية والإيديولوجية فهما وتفسيرا، لكن تجاوزا للطرح الذي يقودنا إلى القول بأن مهمة النقد الثقافي ليس بحثا فيما هو بلاغي جمالي، بقدر ما هو بحث في حركة الأنساق الثقافية المعيبة، ودورها في الوعي المضاد كما دعا لذلك عبد الله الغدامي، إلى نقد ثقافي يتجاوز الأنساق الثقافية المعيبة إلى نسق يحمل حيل أنساق لأنظمة ثقافية، وإشكالات إيديولوجية قيمة حسنة محفورة في ذاكرة الوعي الفردي المتوارثة عبر الأجيال، وهذا بلغة الإجراء العملي التطبيقي من مختارات شعرية لشعراء النهضة الأدبية الثورية الأكثر نبوغا في القرن العشرين في رأي النقاد الجزائريين.

الكلمات المفتاحية: الشعرية الثورية، النسق، الثقافة، الجمال، المعيبة، القيمة، البلاغة ذاكرة الوعي.

Abstract: _This brief research paper attempts to open a window for research into the Algerian poetic experience, and taking it out of the theory cloak of formalism, and aesthetic and semiotic that confined critical practices within the framework of literature, To another alternative face that addresses patterns of

جامعة مرسلني عبد الله -تيزازة، الجزائر، البريد الالكتروني:
ammarmalek.50@gmail.com (المؤلف المرسل)

cultures hidden under of All that the aesthetic , And studying it in its political, social, historical and ideological contexts, with understanding and explanation, But it goes beyond the Subtraction that leads us to say that the task of cultural criticism is not a search in aesthetic ,As much What is as research into movement the systems the cultural the flawed,And its role in counter-consciousness as called for by so Abdullah elghadami, To a cultural critique that transcends defective cultural to i system carries the tricks of systems culturals ,and pretty value ideological problems engraved in the memory of individual consciousness inherited through generations, this by a language practical applied from an anthology Poetry of poets of the revolutionary literary Renaissance, the most brilliant of the twentieth century in the opinion of Algerian critics.

Keywords: Revolutionary poetries / Layout / the culture / beauty / Defective/ Value /Rhetoric / Consciousness memory

المقدمة: من المؤكد أن للنقد الثقافي حضورا بارزا في الفكر النقدي المعاصر، لكنّه حضور يمثل توجهها بديلا منهجيا جديدا مختلفا عن نظريات النقد الأدبي، فقد جاء كرد فعل على النظريات النقدية التي حصرت الممارسات النقدية في إطار الأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة، أو ظاهرة فنية جمالية من جهة أخرى، ومن ثمّ فقد اعتبر النقد الثقافي حقلا من حقول الدراسات الاجتماعية التي تبحث عن النسق الثقافي المخبوء ضمن الأدبي، لدرجة أن تفرّرت معه شعرنة لقيم ثقافية تسربت لتؤسس لسلوك غير إنساني، وترسخ لتقافة غير ديموقراطية، هي في نظر الداعين لهذا التوجه عيوب نسقية معيبة، وهذا ما صرح به عبد الله الغدامي قائلا: " لقد آن الأوان لكي نبحث عن العيوب النسقية للشخصية العربية المتشعرنة، والتي يحملها ديوان العرب وتتجلى في سلوكنا الاجتماعي والثقافي بعامة. لقد أدى النقد الأدبي دورا مهما في الوقوف على جماليات النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل

النصوصي، ولكن النقد الأدبي مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي " ¹.

لكن، التساؤل الذي يفرض نفسه هنا بالتحديد، لماذا النسق الثقافي المعيب وليس الذي يحمل ثقافة قيمة حسنة؟

صحيح أنّ النقد الثقافي جاء لينتصر للقارئ العادي " الذي حرم في ظل ثقافة النخبة من الاستمتاع بالإنتاج الثقافي الراقى... وكثورة للمهمشين والعاديين لأن يجدوا مكانا في ساحة الثقافة المتزايدة الثمار"، ² لكن ما يمكن أن نعيب على هذا المذهب النقدي أنه قام بتوظيف المقولات النظرية وتجنيدتها في نقد شعرية الخطاب العربي وتوليد خطاب آخر يكشف فقط عن أنساق مهيمنة معيبة بدل النظر في أنساق قيمة هي الأخرى موجودة. ولست هنا بصدد مناقشة بعض الجوانب التي غالى فيها النقد الثقافي المتمثلة في إقصاء المؤلف وإضفاء صفة اللاوعي في الإنتاج الأدبي، واعتبار أنّ المؤلف الحقيقي هو الثقافة المغروسة في لاوعي الأديب بل هدفي من هذا البحث المقتضب هو إبراز الجانب المضيء في النقد الثقافي المتمثل في تلك الأنساق القيمة التي يخبئها الجمالي تحت عباءته، وتسهم في الوعي ليس المضاد كما ذكر الغدّامي بل الوعي الذي يتمشى والمنطق النسقي الثقافي النهضوي.

هذا الطرح يسوقنا بالضرورة للتساؤل: لماذا أقدم مجموعة من الشعراء الجزائريين على التغني بالثورة الجزائرية؟ وهل يمكننا القول أنّ هناك أنساقاً ثقافية مضمرة معيبة انطوت تحت مظلة النسق الجمالي لشعراء الثورة؟ وكيف يمكن تعرية هذه الأنساق؟ هذا الذي ذكرت حفزني ودفعني للبحث عن مواطن المحاسن النسقية الثقافية بدل عيوب الشخصية العربية الشاعرة التي يحملها عنوان الأدب، وتتعكس على سلوكنا الاجتماعي والثقافي، لكن قبل هذا وذاك، وبما أنّ النقد الثقافي ميدان غرّ فهو يحتاج إلى تمهيد للتعرف على ماهيته ومفهومه، وتحديد لموضوعه وخلفياته وبواعثه.

1. نظرية النقد الثقافي: مفهومها ومبادئها.

1.1: مفهوم النقد:

- في اللغة: جاءت مادة [ن ق د] بمعنى، تمييز الدراهم وإخراج الرّيف منها.³ وهذا المعنى المستقى من الجذر اللغوي " يشير إلى أنّ المراد بالنقد التمييز بين الجيد والرديء من الدراهم والدنانير، وهذا يكون عن خبرة وفهم وموازنة ثم حكم سديد".⁴
- في الاصطلاح: بالانتقال إلى المعنى الذي اصطلح وتواضع عليه أهل الفن فإن مفهوم النقد يأتي بمعنى: « دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها".⁵ كما يعرف النقد على أنه: " استعمال منظم لتقنيات غير أدبية في سبيل الحصول على بصيرة نافذة في الأدب ".⁶ ومفهوم هذا التعريف الذي قدمه ستانلي هايمن هو جوهر نظرية النقد الثقافي، إذ أنّ الناقد الثقافي لا بد له من تقنيات هي في الأساس عبارة عن قواعد وآليات علمية؛ كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الانتروبولوجيا، وغيرها، تعتمد في مقارنة النصوص الأدبية لغاية فهم أسرارها وكشف خباياها.

1. 2: مفهوم الثقافة:

- في اللغة: جاءت مادة [ث ق ف] في لسان العرب بمعنى، حاذق فهم. يقول ابن السكيت: رجل ثقّف لُقّف إذ كان ضابطاً لما يحويه قائماً به. والمراد ثابت المعرفة بما يحتاج إليه.⁷
- في الاصطلاح: الثقافة في الاصطلاح مفهوم واسع يستعمله الكثير من المتخصصين في مجالات مختلفة بمفاهيم مختلفة وأطروحات متباينة، لكن أكثر المفاهيم شيوعاً هو أنّ الثقافة هي: " المعرفة والأفكار والمعتقدات والقيم والمعايير والمشاعر السائدة في الجماعة".⁸

1. 3: مفهوم النسق:

- في اللغة: تأتي مادة [ن س ق] في لسان العرب بمعنى: ما كان على طريقة نظام واحد. ابن سيده: نسق الشيء يُنْسَقُ نَسْقاً ونَسَقَهُ نَسَقَهُ على السواء.⁹
- في الاصطلاح: يعرف النسق باعتبار المفهوم النقدي على أنه: دلالة لحظة مضمرة من لحظات حادثة أو حالة ثقافية يتلبسها نسق جمالي.¹⁰ ومفهوم هذا أنه لا اعتبار للنسق الثقافي دون تحقق عملية الاستهلاك الجماهيري للحظة هذا الفعل الثقافي، وتحقق الجمالي منه، فإذا توفرت الجمالية في النص الأدبي فإن النسق يصبح

متناسقا متكاملًا ومنسجما ومترايبًا لأبعد الحدود مما يجعله أكثر إضمارًا وخفاءً، " ومعها مفهوم النسق أوسع من البناء الاجتماعي".¹¹

ويمكن حصر النسق الثقافي فيما عناه عبد الله الغدامي تحت مسمى النقد المؤسساتي الذي يبني على حد ما أشار إليه ليتش حول مركزية " دور المؤسسة العلمية والثقافية في توجيه الخطاب والقراء نحو نماذج وأنساق وتصورات يتأسس معها الذوق العام وتتخلق بها الصياغة الذهنية الفنية، وتصبح بذلك قيمًا معتمدة يقاس عليها وتحتذا في الحكم وفي التذوق".¹² أي الخلفية التي يستقر فيها الوعي وتوجه السلوك الإنساني في فترة من فترات التاريخ الإنساني، ومنه نتساءل: هل النسق الثقافي المتولد عن النقد المؤسساتي على رأي ليتش وغيره هو الذي يفرض وجوده وهيمته على المنتج الأدبي، أم أنّ وجود المنتج الأدبي هو الذي يعتمد على ذاته في صياغة نسق ثقافي خاص به؟

4.1: مفهوم النقد الثقافي: يعتبر آرثر آيزنبرجر النقد الثقافي مجرد نشاط وليس مجالًا معرفيًا قائمًا بذاته لتداخل المجالات والأفكار والنظريات التي يحشدها ويوظفها في نشاطه التحليلي، فهو لا ينقد بلا وجهة نظر، بل يتأسس دائمًا على منظور ما يرى من خلاله الناقد الأشياء بنحو أفضل للقضايا. وهي مشكلة تواجه النقد الثقافي على حدّ قوله.¹³ فهو نقد يتأسس على النظر في المتن الثقافي المضمّر بكل تجلياته وأنماطه تحت مظلة الأساليب الجمالية، وهو كما يرى عبد الله الغدامي فرع من فروع النقد النصوي العام، وأحد علوم اللغة وحقول الألسنية، معني بكشف القبحيات بدل الجماليات، أي كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي والحسّ النقدي.¹⁴ وبدورنا نقول: هل النقد الثقافي محصور في الكشف عن العيوب الثقافية المضمرة تحت الأساليب الجمالية، أم بالإمكان أن نبحت في نسق ثقافي يكشف لنا عن الأنساق القيمة للشعرية العربية؟

هذا إن لم نتساءل فنقول: ولماذا لا يغلب النسق الجمالي النسق الثقافي فيتوجه السلوك والفكر إلى السمو لكلّ ما هو جمال؟

5.1: مبادئ النقد الثقافي:

1. 5. 1: بنيات النسق: تقوم على مبدأ أن كل نسق أدبي جمالي يعتمد في جوهره على نسق آخر خفي، والظاهر هو من يبين عن معنى هذا النسق الخفي من خلال النظر فيه كعلامة. ويفسر هذا المبدأ بـ:

_ أن " يكون المضمّر منهما نقيضاً ومضاداً للعلني، فإن لم يكن هناك نسق مضمّر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي"¹⁵؛

_ أن يكون النص المستهلك نصاً جميلاً، لكن كما ذكر الغدامي ليس حسب الشرط النقدي المؤسّساتي، بل ما يجمع عليه القراء الثقافيون على أنه جميل.¹⁶ أي ما يستهلك لدى الطبقة المهمشة والعادية؛

_ أن يكون هناك حضور مكثف للعلامة؛ وهي بنية لغوية أو تشكيلاً لغوياً فنيا قائماً على العلاقة النسقية الثقافية المهيمنة على النص؛

_ أن يكون له استقبال جماهيري وقبول قرائي.¹⁷

1. 5. 2: فهم الإشارة: يتأتى بالنظر في العلاقات الدلالية، والاختيارات اللفظية على أنها تعبيرات لها أبعاد ثقافية خفية محفورة في ذاكرة الوعي الفردي والتاريخ الإنساني العربي، لكن كيف؟

عن طريق الاعتماد على فهم الإشارات الدالة والبحث عن كيفية عملها و" فهم الإشارات الدالة يشمل إيجاد نوع ما من العلاقات بين الإشارات ومعانيها «والإشارة في النصوص الأدبية هي في أصلها رموز أو علامات ترتبط بالنسق المضمّر الذي ينطوي عليه الفعل الثقافي.

2. من النسق الجمالي إلى الاستهلاك القيمي الثقافي (دراسة تطبيقية): الدارس

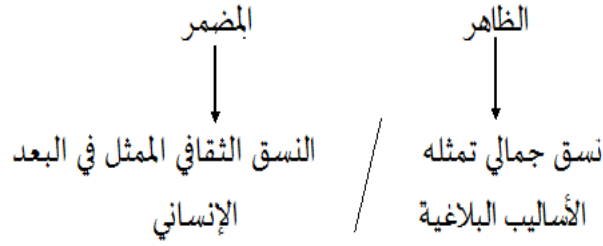
للأطروحات التي قدمها عبد الله الغدامي في مجال النقد الثقافي يرى بوضوح أنها تتجه نحو بيان الممارسات التي يراها عيباً ثقافياً، ونقدها وتعريتها من أجل إحلال وعي ثقافي مضاد، من خلال تقديم نماذج هي أنساق ثقافية منبتها في الأصل قيمة حسنة مرتبطة بالوجود الإنساني، فتقافة الكرم قيمة سلمية جاءت لتحافظ على النوع، وهي قيمة لم تأت للتباهي كما يذكر الغدامي وليست علامة على الغنى والأريحية، وكذلك الشأن بالنسبة لأنساق الثقافة الأخرى كالشجاعة والفتوة و الفحولة والجنوسة وغيرها، لكن جرى تحويل هذه القيم وتزييفها لمصلحة السوق الثقافية، فمدح الشاعر

للكرم الذي يراه الغدامي يحمل قيمة جوهرية في البقاء الإنساني العربي هو مدح على قيمة الكرم، وهو مدح صادق وحقيقي، لكن ما يعاب على هذه القيمة النسقية الثقافية أن تتحول من مدح على قيمة الكرم إلى مدح من أجل استجداء العطاء أو الاستعطاف أو غيره من القيم المعيبة،¹⁸ وهو تحول. كما هو واضح. من مبدأ سامي يحمل قيمة أخلاقية وإنسانية إلى نسق ثقافي معيب يُستخدم في تمجيد المؤسسة الممثلة في الحاكم المطاع بأمره أو الذي يغدق المال أكثر، لكن ما يعاب على وجهة النظر التي قدمها عبد الله الغدامي هو أنها لم تسلط الضوء على الجانب الذي حافظ على ثقافة القيم، ذلك أنّ الشعرية العربية المتلبسة بلباس الجمالي يمكنها. أيضا. أن تكون حاملة لأنساق ثقافية قيمية، وهذا ما سيتحقق من خلال عرض ثلاثة نماذج لشعراء النهضة الأدبية الجزائرية، وهم؛ شاعر الثورة مفدي زكريا، والشيخ أحمد سحنون، ومحمد العيد آل خليفة.

2. الحرية الإنسانية: الانتقال من البعد الذاتي إلى البعد الإنساني: هنا حدثت طفرة نوعية في الشعر النهضوي من الحديث والاحتفاء بالبعد الذاتي أو القبلي الذي هيمن على الشعرية العربية فيما سبق إلى الاحتفاء بالبعد الإنساني فتحول النسق الثقافي من نزعة الأنا الفردية التي تخلقت بها الصياغة الذهنية والفنية العربية القديمة إلى نزعة الجمع نحن التي أضحت جملة ثقافية بديلة، والتي أصبح بموجبها قيمة تابعة للنسق الجمالي، ويظهر هذا جليا من خلال توظيف اللغة الشعرية لمصلحة الجماعة الممثلة في قول الشاعر مفدي زكريا في قصيدته اقرأ كتابك:¹⁹

وأراده المستعمرون، عناصر فأبى مع التاريخ أن يتصدع
واستضعفوه، فقرروا إذلاله فأبت كرامته له أن يخضعا

وهنا يظهر بوضوح الدلالة المضمرّة المتوارية تحت مظلة النسق الجمالي الظاهر المتوسلة بالمجاز اللغوي عن طريق المشابهة في قوله: أن يتصدّع، فقرروا إذلاله، فأبت كرامته، وهي جمل ثقافية تنبؤ عن ثقافة التسامي المتمثلة في النزعة الإنسانية الطاغية التي تشربتها روح الشاعر.



الشكل: الدلالة الثقافية القيمة المتوارية تحت الجمالي.

ويظهر أيضا هذا النسق الثقافي الذي يتعمد كسر قانون الاحتفاء بالفرادانية الذاتية إلى الاحتفاء بالإنسان في قول الشيخ أحمد سحنون في قصيدته وطني: ²⁰

إن فيها أمة ماجدة لم تدع للناس من مجد بقايا

وفي قصيدته، تحية جيش التحرير يقول: ²¹

واستعمار الشعوب يصبح تاريخا لأبنائه بغيض السطور

سوف لا تدع الجزائر شعبا إن تحرّر في ذلّة مأسور

لكن التساؤل الذي اضطررنا للوقوف هو: لماذا وقف المستهلك الثقافي

الجماهيري أثناء الثورة التحريرية الكبرى متأثرا متذوقا لهذه القصائد؟

لأن مثل هذه الشعرية المتجذرة في ثقافتنا العربية هي التي تؤسس لإحياء قيمة الإنسانية في نفوس المستهلك الثقافي الجماهيري، وتقدم لهم صورة محفزة لهذه القيمة فتصور الحرية في شعرية الشيخ أحمد سحنون " متى تنتهي هذي الحروب وننتهي... مصائب جزتها على العالم الحرب.... ويسترجع الكون المهيب صفاءه... لا نوم بعد اليوم حتى لا أرى مستعبدا.... يا أمة قد رفعت للناس أعلام الهدى " هي النسق الثقافي المضمّر في اللاوعي الجمعي عن مجموع القيم الإنسانية، وهي في الحقيقة مرجع نفسي ذاتي كما يذكر الغدامي لا يستدعي إلا عند الحاجة إليها لحسم اللحظات الغامضة والحرجة، وهذه اللحظة هي تلك المأساة جراء الاحتلال وما يترتب عليه من سلب للحرية، فالشاعر هنا لا يملك لغة أخرى لمواجهة الموقف والتعبير عنه وتأتي هذه الكلمات من المخزن العميق لتتكلم بالإنابة عنه. ²² فإليها توّول القيم، وفيها يكون الموجه الاجتماعي والسلوكي. وبالانتقال إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة نجد الأمر

ذاته يتكرر، ففي قوله: " وكيف صحت من الإنسان تفرقة... بين الحسا واللثالي وهي أحجار؟!... شباب الجزائر طب بالإخاء... أناديك للخير خير النداء... لا يخدم المرء سوى نفسه... ويوسع الكل بإحسانه... رفدا ليستعيد مرفوده... وجئت أبته نجواي سرا... ومن للحر بالصوت الجهير... وأستفتيه عن شعبي الكسير... وقبرنا استعمارهم وفكنا... شعبنا من سلاسل الأغلال... فاسألوهم عن رفقنا بالأساري... واحترام النساء والأطفال... واسألوهم عن رعينا للمبادي... ووفاء الوعود بالأفعال... إن حرية الجزائر حق... ليس فيها من ريبة أو جدال...." ²³ مثال على قيمة نسقية مرتبطة بالحرية الإنسانية. فهذه القيمة الثقافية المتولدة عن الخبرة ربما استخدمت عن لا وعي الشاعر ثم انقلبت إلى نسق جمالي أسلوبى، ولكن ما هو أكيد أنّ هذا النسق الثقافي الداعي إلى الحرية الإنسانية يتبوتق بالضرورة في نسق شعري عند الشعراء، وهذا اعتقادا منهم أنّ ذلك يخفف من عناء فقدان الحرية جراء عننت الاحتلال، وهو ملجأ نفسي ذاتي كما ذكرنا، فينتقل هذا النسق القيمي من الاستهلاك الجمالي إلى الاستهلاك الثقافي، ولا يمكن السيطرة عليه لأنه ينطوي على قيمة إنسانية مغروسة في اللاوعي الجماهيري تغذيها قيمة جمالية شعرية مغروسة هي أيضا في الذائقة الجماهيرية المستهلكة.

إنّ تذكير الشاعر المحتل بهذه القيم الإنسانية المتمثلة في احترام النساء والأطفال ومراعاة المبادئ الإنسانية، والوفاء بالوعد وغيرها هي بؤرة الاهتمام في الثقافة الاستهلاكية للطبقة المُحتلّة المُستعبّدة، وتنشيط هذه الثقافة يجعل الناس على وعي بهذه القيمة النسقية الثقافية.

2,2: نزعة الافتخار بالتضحية: كما نلمس أيضا بروز القيمة النسقية الثورية المرتبطة بالتضحية، لكن ليست تضحية من أجل الفردانية الذاتية ولا القبلية، بل تضحية من أجل قيمة أسمى هي الوطن، لقد استطاع شعراء النهضة الشعرية الجزائرية من تحويل القيمة التي توارثتها الشعرية العربية عبر التاريخ إلى شعرية العلاقة بين الوطن والتضحية، ولتصور ذلك لا يسعنا إلاّ العودة إلى ديوان مفدي زكرياء لنجد هذه النزعة ظاهرة، يقول: " قام يخال كالسيح وييدا.... وامتطى مذبح البطولة....

أشفقوني فلست أخشى... يا سجن، ما أنت؟ لا أخشاك.... روعي وهبتك يا روعي
 فدا وطني... نظمت قوافيها الجماع في الوعى... وسقى النجيع رويها، فتدفعاً..²⁴
 وهي أشعار تتطوي على قيمة راسخة تتمثل في التضحية من أجل أن تحيا
 الأوطان، فهؤلاء الأبطال الذين قدموا أنفسهم فداء لتراب وطنهم ليس لهم غاية إلا
 أنهم أرادوا الحرية؛ وهو مبدأ سامي تمثله جملة ثقافية محفورة في اللاوعي الإنساني
 عموماً، والجزائري على وجه الخصوص، فالشاعر يرى نفسه في وطنه، ووطنه في
 نفسه، وفي هذه الشعرية البارزة ظهرت قيمة النسقية الثقافية في علاقة الوطن
 بالتضحية، وفي توظيف النسق الجمالي لمصلحة مجد الوطن بدل المجد القبلي أو
 الفردي. والأمر نفسه نجده في أشعار الشيخ أحمد سحنون يقول: " ولم يخش جلجل
 المدفع... يلاقى الردى والخطوب الشداد... فلم يرهب القوة القاهرة... لم تعد قط من
 كفاحك... لم يكن فيك غير شهم حري...".²⁵

ولو تمنعنا ملياً لوجدنا النسق الثقافي المرتبط بقيمة التضحية، وأن تكون النفس
 رخيصة من أجل أن تبقى وتحيا الأوطان يتسلل متخفياً بالجمالي، هو نسق يجعل
 الخطاب الشعري مفعماً بالصدق، مليئاً بالواقعية. ولا نجد شعرية محمد العيد آل خليفة
 بعيدة عن هذه القيمة النسقية الثقافية، ففي هذه النماذج الشعرية من قصائد ديوانه: "
 إذا ما رمت للأوطان عزا... فجد بالنفس واستيق الفداء... وان حمل الخصوم عليك
 يوماً... فقم لنضالهم وخض الدماء... ألم تر (جعفراً) قطعت يداها... بحرب الروم
 فاحتضن اللواء... وقدم نفسه للموت سما... فنال بها الشهادة والثناء... واقتحنا
 الهيجاء نارا تلظى... وأدرنا رحي الوعى فانتصرنا... ألم يبذل النفس الغريزة للحمى...
 نحمي البلاد وننفي كل غائلة... عنها وندفع عنها العار والهونا... شعب يقاسي كل
 ألوان النكال...".²⁶ تغيير قيمي لفعل التضحية، حيث بدأ المعنى يتحول من المجد
 الذاتي أو القبلي إلى المجد المرتبط ببعد أكبر متمثل في الأوطان، وأنّ الوطن قيمة
 أكبر من الإنسان أو أي جماعة نسب، ومن ثمة تمّ اختراع نسق التضحية وهو نسق
 شعري جاء كأحد ضرورات القيم الوجودية للإنسان الجزائري.

2. 3: نزعة الاحتفاء بقدر الأوطان: ما أن تباشر قصائد شعراء النهضة حتى

يتكشف لك هذا الانتقال من نسق الثقافة الشعرية القديمة التي تحتفي بالقبيلة إلى

نسق ثقافي يحتفي بالوطن الجامع لهذه القبائل في قالب تعبيرات شعرية مجازية، فالشاعر النهضوي في قصائده المعنونة بـ "وطني" و "نشيد الانطلاقة الأولى" يؤسس لدلالة نسقية ثقافية مرتبطة بالوطن، فهو ليس زمن القبيلة ولا الآل ولا البطن ولا غيره من العصبيات بل زمن الوطن الجامع ومن الواضح أنّ هذه تمثل نقلة نوعية في الثقافة. يقول مفدي زكريا في قصيدته اقرأ كتابك:²⁷

وقل الجزائر.. واصغ إن ذكر اسمها تجد الجبارة ساجدين وركعاً
إن الجزائر في الوجود رسالة الشعب حرّرها، وربك وقعا
إنّ الجزائر قطعة قدسية في الكون لحنها الرصاص ووقعا
ويقول في موضع آخر:

والله سطر لوحها بيمينه وبنهرها، سكب الجمال فأبدعا
وطن يعز على البقاء وما انقضى رغم البلاء، عن البلى، متمعا

ويقول الشيخ أحمد سحنون في قصيدته وطني:²⁸

وطني يا مهبط الوحي ويا فلك الحسن ويا مهد صبايا
يا نشيدالمجد يا أغنية من أغاني الحبّ يا نجوى هوايا

ولم يتجاوز شعر محمد العيد آل خليفة هذه القيمة ففي قوله: " سلوا عنه أطواد الجزائر إنها...صفائحها ذكرى صحائفه الغر...سلوا عنه أطواد الجزائر إن في... معاقله اللاتي بها كان يستدري.... سلوا عنه أطواد الجزائر كلها.... فغارته فيها تجل عن الحصر.."²⁹ خطاب شعري قدمه بصيغة ليست محكومة بالخلفية الاجتماعية كما يؤكد عبد الله الغدامي في جميع تحليلاته للخطاب الشعري العربي وهذا واضح بل هو تعامل مع نسق نفسي ذاتي محفور في لا وعي الشاعر مرتبط بتقدير الأوطان ومن ثمّ فإنّ التغني بقدر الأوطان الذي تحركه شعرنة الشاعر هو نتيجة لحالة يعيشها هو، فحينما يفتخر بقدر الوطن لا كون الافتخار محكوم بمعايير اجتماعية، بل لأنّ الافتخار بقيمة الوطن، وهو بالضرورة قيمة الوجود الإنساني.

إنّ الافتخار بقدر الوطن في شعرية محمد العيد آل خليفة ليس افتخاراً وتعظيماً للذات، بل افتخار أملاه النسق الثقافي المليء بحب الأوطان.

خاتمة: نصل في نهاية هذا البحث المقتضب إلى القول بأن شعر النهضة الأدبية الجزائرية قد تفرّز معه شعرنةً لقيم ثقافية تسربت لتؤسس لسلوك إنساني، وترسخ لثقافة الحرية والتضحية من أجل أن تحيا الأوطان، وهي . كما لاحظنا من خلال النماذج التطبيقية . أنساق ثقافية قيمية، وليست عيوباً نسقية قبحية كما يراها عبد الله الغدامي ذلك أن الشعرية العربية . كانت دوماً . تضمّر أنساقاً ثقافية قيمية ذات علاقة بالشرط الثقافي الإنساني.

وعليه، فإنّ شعراء النهضة الجزائرية أرادوا من تصنيع التلقي عبر تسليع الثقافة القيمة وعرضها عبر المؤثرات الأسلوبية الجمالية أن يوجدوا مستهلكاً ثقافياً يتحرك وفق ما تريده شعرية القيم المتمثلة في الحرية الإنسانية، والتضحية من أجل الوطن والافتخار به.

الهوامش:

¹ النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي

العربي بنّوت، الدار البيضاء، ص:7،8.

² النقد الثقافي تمهيد مبدئ للمفاهيم الرئيسية، تأليف: أرثر أيزا برجر، تر: وفاء إبراهيم

ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م، ص:16.

³ ينظر، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د ط، مج3، ص:425.

أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1994م

ص:158.

⁵ المرجع نفسه، ص:129.

⁶ النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي هايمان، تر: إحسان عباس و محمد يوسف نجم

مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، د ط، د تا، ص:9.

⁷ ينظر، لسان العرب، ابن منظور، مج9، ص:19.

⁸ نقد ثقافي، آيزابرجر، ص:193.

⁹ لسان العرب، ابن منظور، مج10، ص:352،353.

- . ينظر، النقد الثقافي . دراسة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغدامي
10 ص: 78، 79.
- . عصر البنوية، إيديث كوزيل، تر: جابر عصفور، دار السعادة الصباح، الكويت، ط1
11 1993م، ص: 411.
12. النقد الثقافي . دراسة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغدامي، ص: 34.
13. ينظر، النقد الثقافي . تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية . آرثر آيزنبرجر، ص: 30، 39.
14. ينظر، النقد الثقافي . دراسة في الأنساق الثقافية العربية، الغدامي، ص: 83، 84.
15. النقد الثقافي، عبد الله الغدامي، ص: 78.
16. ينظر، المصدر نفسه، ص: 77، 78.
17. ينظر، المصدر نفسه، ص: 81.
- . ينظر، النقد الثقافي . دراسة في الأنساق الثقافية العربية . عبد الله الغدامي، ص: 146
18 147.
- . اللهيب المقدس، مفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية،
19 الجزائر 2007م، ص: 54.
20. ديوان الشيخ أحمد سحنون، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م، ص: 117.
21. نفس المصدر، ص: 85.
22. ينظر، النقد الثقافي . دراسة في الأنساق الثقافية العربية .، ص: 85.
23. ديوان محمد العيد بن محمد علي آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010م
ص: 14، 40، 385، 390.
24. اللهيب المقدس، مفدي زكريا، ص: 18، 25، 30، 52.
25. ديوان الشيخ سحنون، ص: 86.
26. ديوان محمد العيد آل خليفة، ص: 388، 394، 475.
27. اللهيب المقدس، مفدي زكريا، ص: 51.
28. ديوان الشيخ أحمد سحنون، ص: 117.
29. ديوان محمد العيد آل خليفة، ص: 394.